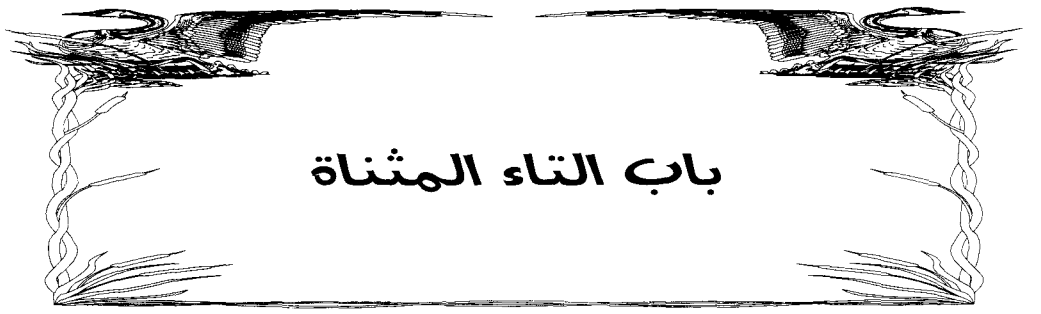

باب التاء المثناة

التالب: الوعل والأنثى تالبة، حكاه ابن سيّده، وسيأتي الكلام عليه في باب الواو، في لفظ الوعل إن شاء الله تعالى.

التبيع: ولد البقرة أوّل سنة، وبقرة تبيع معها ولدها، والأنثى تبيعة، والجمع تباع وتبائع مثل أفيل وأفال وأفائل، وقد تقدّم في باب الهمزة، روى الإمام مالك في «**الموطإ**» وأبو داود والترمذي والنسائي وآخرون عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن وأمرني أن آخذ من كل أربعين بقرة بقرة، ومن كل ثلاثين مسنة تبيعاً أو تبيعة. قال الترمذي: حديث حسن، وروي مرسلاً، وهو أصح. والمسنة ما استكملت سنتين ودخلت في الثالثة. والتبيع هو الذي يتبع أمّه، وإن كان له دون سنة، قال الرافعي: وحكى جماعة أنّ التبيع الذي له ستّة أشهر، والمسنة التي لها سنة، وهذا غلط ليس معدوداً من المذهب.

التبشر: في «**أدب الكاتب**» لابن قتيبة أنّه بفتح التاء المثناة من فوق وبالباء الموحّدة، ثم بالشين المعجمة؛ وقيل بضم التاء، وفتح الباء الموحدة وتشديد الشين المعجمة، طائر يقال له: الصفارية، والتاء فيه زائدة، وسيأتي الكلام عليه في باب الصاد المهملة إن شاء الله تعالى.

التثفل: بضم التاء أوّله وسكون الثاء المثلثة كقنفذ ولد الثعلب والتاء فيه زائدة.

التدرج: كحبرج طائر كالدراج يغرّد في البساتين بأصوات طيّبة يسمن عند صفاء الهواء، وهبوب الشمال، ويهزل عند كدورته وهبوب الجنوب يتّخذ داره في التراب اللين ويضع البيض فيها لئلا يتعرّض للآفات، وقال ابن زهر: هو طائر مليح يكون بأرض خراسان وغيرها من بلاد فارس.

وحكمه: الحل لعدم استخباثه وإن كان نوعاً من الدراج، وسيأتي في بابه إن شاء الله تعالى.

الخواص: لحمه من أفضل لحوم الطير يزيد في الفهم والباه، وإذا أخذت مرارته وسعط بها من به خبل أو وسواس نفعه، وإن شُوي لحمه وأُطعم منه وهو حار ثلاثة أيام أبرأه.

التنحس: كصرد الدلفين، وسيأتي في باب الدال المهملة إن شاء الله تعالى.

التفلق: كزبرج طائر من طير الماء، قاله في العباب.

التفه: ويسمّى عناق الأرض والغنجل، نوع من السباع نحو الكلب الصغير على شكل الفهد، وصيده في غاية الجودة والملاحة، وربّما واثب الإنسان فيعقره ولا يطعم غير اللحوم، وربّما صاد الكركي وما قاربه من الطير فيفعل به فعلاً حسناً، وقد وصفه الناشىء في أبيات منها:

حلو الشمائل في أجفانه وطف صافي الأديم هضيم الكشح ممسود
فيه من البدر أشباه توافقه منها له سفع في وجهه سود
كوجهِ ذا وجهُ هذا في تدوره كأنّه منه في الأجفان معدود
له من الليث ناباه ومخلبه ومن غرير الظباء النحر والجيد
إذا رأى الصيد أخفى شخصه أدباً وقلبه باقتناص الطير مزود

الحكم: يحرم أكله لعموم النهي عن أكل كل ذي ناب ومخلب من السباع، وقال بعض أصحابنا إنّه السنّور البري، وإنّه قريب من الثعلب وإنّه على شكل السنور الأهلي، وفي حكمه وجهان أصحهما التحريم لأنّه يأكل الفأر.

الأمثال: قالت العرب: أغنى من التُّفَهِ عن الرُّفَهِ، والرفه: التبن، والأصل فيهما رفهة وتفهة، قال حمزة: وجمعهما تفاف ورفات، قال الشاعر:

غنينا عن حديثكم قديماً كما غنى التفات عن الرفات

ويقال أيضاً: استغنت التفه عن الرفه، وذلك أنّ التفه سبع لا يقتات الرفه أصلاً، وإنّما يغتذي باللحم، فهو يستغني عن التبن، والمعروف في التفه والرفه تخفيف الفاء، وقال الأستاذ أبو بكر: هما مشددتان، وقد أوردهما الجوهري في باب الهاء، فقال: التفه والرفه، وفي الجامع مثله، إلاّ أنّه قال: ويخففان، وأمّا الأزهري فإنّه أورد الرفه في باب الرفت، بمعنى الكسر، وقال ثعلب عن ابن الأعرابي: الرفت التبن، وفي المثل أغنى من التفه عن الرفت، قال الأزهري: والتفه تكتب بالهاء، والرفت بالتاء، قال الميداني: وهذا من أصح الأقوال، لأن التبن مرفوت أي مكسور.

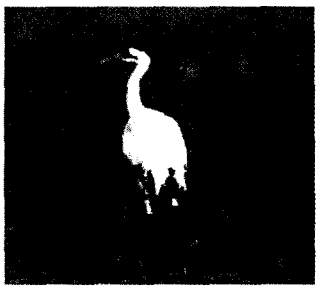

التم: طائر نحو الإوز في منقاره طول وعنقه أطول من عنق الإوز.

وحكمه: الحل، لأنّه من الطيّبات.

التمساح: اسم مشترك بين الحيوان المعروف، والرجل الكذّاب، قال القزويني: وهذا الحيوان على صورة الضب، وهو من أعجب حيوان الماء، له فم واسع وستّون ناباً في فكّه الأعلى، وأربعون في فكّه الأسفل، وبين كل نابين سن صغيرة مربعة، ويدخل بعضها

في بعض عند الانطباق، وله لسان طويل، وظهر كظهر السلحفاة، لا يعمل الحديد فيه وله أربع أرجل وذنب طويل، وهذا الحيوان لا يكون إلاّ في نيل مصر خاصة، وزعم قوم أنّه في بحر السند أيضاً، وهو شديد البطش في الماء، ولا يقتل إلاّ من إبطيه، ويعظم حتى يكون طوله عشرة أذرع في عرض ذراعين وأكثر، ويفترس الفرس، وإذا أراد السفاد خرج هو والأنثى إلى البر، فيلقى الأنثى على ظهرها ويبطنها، فإذا فرغ قلبها، لأنّها لا تتمكن من الانقلاب لقصر يديها ورجليها ويبس ظهرها، وهو إذا تركها على تلك الحال، لم تزل كذلك حتى تقلب وتبيض في البر، فما وقع من ذلك في الماء صار تمساحاً وما بقي صار سقنقوراً.

ومن عجائب أمره أنّه ليس له مخرج، فإذا امتلأ جوفه بالطعام خرج إلى البر وفتح فاه، فيجيء طائر يقال له القطقاط، فيلقط ذلك من فيه، وهو طائر أرقط صغير، يأتي لطلب المطعم، فيكون في ذلك غذاءً له وراحة للتمساح، ولهذا الطير في رأسه شوكة، فإذا أغلق التمساح فمه عليه نخسه بها فيفتحه، وسيأتي ذكر هذا الطائر إن شاء الله تعالى.

وزعم بعض الباحثين عن طبائع الحيوان أنّ للتمساح ستّين سنّاً وستّين عرقاً، ويسفد ستّين مرّة، وتبيض الأنثى ستّين بيضة، ويعيش ستّين سنة، وقال أبو حامد الأندلسي إنّ له ثمانين ناباً أربعون ناباً في الفك الأعلى وأربعون في الفك الأسفل، وهو أبداً يحرك فكّه الأعلى، وفكّه الأسفل عظمه متّصل بصدره، وليس له دبر وله فرج ينسل منه، وهو شر من كل سبع في الماء، ومن شأنه أنّه يغيب في باطن الماء أربعة أشهر مدّة الشتاء كلّه، ولا يظهر، والكلب البحري عدوّه، فإذا نام فتح فاه، فيطرح كلب الماء نفسه في الطين ويتجفف ثم يأتيه مفاجأة، فيدخل فاه ويأكل أمعاءه، ويخرج من مراق بطنه، بعد أن يقتله، وكذلك يفعل معه ابن عرس أيضاً.

وحكمه: تحريم الأكل للعدو بنابه كذا علّله جماعة من الأصحاب، وقال الشيخ محب الدين الطبري في «**شرح التنبيه**»: القرش حلال، ثم قال: فإن قلت أليس هو مما يتقوّى بنابه، فهو كالتمساح، والصحيح تحريم التمساح، قلت: لا نسلم أن ما يتقوّى بنابه من حيوان البحر حرام، وإنّما حرم التمساح كما قال الرافعي في الشرح: للخبث والضرر. نعم كلام التنبيه يقتضي أنّ تحريمه لكونه ممّا يتقوّى بنابه، ولا ينبغي تعليل تحريمه بذلك، فإنّ في البحر حيواناً كثيراً يفترس بنابه كالقرش وغيره، وهو حلال. ولا ريب في أنّ البحري مخالف للبري، اهـ. وهو الظاهر والله أعلم.

الأمثال: قالوا: أظلم من تمساح، وكافأه مكافأة التمساح.

الخواص: عينه تشدّ على صاحب الرمد يسكن وجعه في الحال اليمنى لليمنى واليسرى ولليسرى، وإذا عجن شحمه بشمع وجعل فتيلة وأسرج في نهر لم تصح ضفادعه، وإذا قطر شحمه في الأذن الوجعة شفاها، وإذا أدمن تقطيره في الأذن نفع الصمم، ومرارته يكتحل بها للبياض الذي في العين، فيذهب، وإذا علق شيء من أسنانه التي في الجانب الأيمن على الرجل، زاد جماعه وقال القزويني في «**عجائب المخلوقات**»: أوّل سن من الجانب الأيسر يشد على صاحب القشعريرة يذهبها، وكبده يبخر به صاحب الصرع يزول صرعه، وقطعة من جلده تشدّ على جبهة الكبش يغلب الكباش، وزبله الذي يوجد في بطنه يزيل البياض الحادث والقدم اكتحالاً، ورائحته كرائحة المسك، وتقول القبط: إنّه المسك إلاّ أنّ فيه سهوكة[1].

التعبير: التمساح في المنام عدوّ مسلّط، وهو نظير الأسد، وقيل التمساح لص مكابر ذو مكر وغدر وخديعة.

التميلة: دويبة بالحجاز على قدر الهرّة، والجمع تملان، قاله ابن سيّده.

التنوط: في «**الكفاية**» لابن الرفعة أنّه بضم التاء، وكسر الواو، ويجوز فتح التاء المشدّدة وفتح النون وضم الواو المشدّدة، وقال غيره: هو طائر يجوز في واوه الضم والفتح، قال الأصمعي: إنّما سمّي بذلك لأنّه يدلي خيطاً من شجرة ويفرخ فيها الواحدة تنوطة، ومن شأن هذا الطائر أنّه إذا أقبل عليه الليل يتنقل في زوايا بيته، ويدور فيها، ولا يأخذه قرار إلى الصبح خوفاً على نفسه، وهذا الطائر هو الصفار، وسيأتي في بابه إن شاء الله تعالى.

وحكمه: الحل لأنّه من نوع العصافير.

الخواص: قال القزويني في «**عجائب المخلوقات**»: يذبح التنوط بسكّين ويسقى دمه لمن يعربد في سكره، فلا يعود إلى ذلك أبداً، ومرارته تطبخ بالسكر، وتسقى لصبي فيحسن خلقه، وعظمه يعلّق على الصبي وقت زيادة القمر، فيبقى محبوباً إلى الناس ولو كان كريه اللقاء.

التنّين: ضرب من الحيات كأكبر ما يكون منها، وكنيته أبو مرداس، وهو أيضاً نوع من السمك، وقال القزويني في «**عجائب المخلوقات**»: إنّه شر من الكوسج، في فمه أنياب مثل أسنة الرماح، وهو طويل كالنخلة السحوق أحمر العينين مثل الدم، واسع الفم والجوف، براق العينين يبتلع كثيراً من الحيوان، يخافه حيوان البر والبحر، إذا تحرك يموج البحر لشدّة قوّته، وأوّل أمره يكون حيّة متمردة تأكل من دواب البر ما ترى، فإذا كثر فسادها احتملها ملك

(١) سهوكة: رائحة كريهة.

وألقاها في البحر، فتفعل بدواب البحر ما كانت تفعله بدواب البر، فيعظم بدنها، فيبعث الله إليها ملكاً يحملها، ويلقيها إلى يأجوج ومأجوج.

روي عن بعضهم أنّه رأى تنيناً طوله نحواً من فرسخين، ولونه مثل لون النمر مفلساً مثل فلوس السمك بجناحين عظيمين على هيئة جناحي السمك، ورأسه كرأس الإنسان، لكنّه كالتل العظيم، وأذناه طويلتان وعيناه مدوّرتان كبيرتان جداً. روى ابن أبي شيبة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنّ النبيّ ﷺ قال: «**يسلّط الله على الكافر في قبره تسعة وتسعين تنيناً تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة، لو أنّ تنيناً منها نفخ على الأرض ما نبتت خضراً**»، ورواه الترمذي عنه مطوّلاً قال: دخل رسول الله ﷺ يوماً مصلاه، فرأى ناساً كأنّهم يكشرون، فقال: «**أما إنّكم لو أكثرتم ذكر هاذم اللذات[1] لشغلكم عمّا أرى، أكثروا ذكر هاذم اللذات، فإنّه لم يأت على القبر يوم إلاّ تكلّم فيه فيقول: أنا بيت الغربة، أنا بيت الوحدة، أنا بيت التراب، أنا بيت الدود والهوام، فإذا دفن العبد المؤمن قال له القبر: مرحباً وأهلاً أما إن كنت لمن أحب من يمشي على ظهري إلي، فمذ وليتك اليوم وصرت إلي فسترى صنيعي بك، قال: فيتّسع له قبره مد بصره، ويفتح له باب إلى الجنّة، وإذا دفن العبد الكافر أو الفاجر يقول له القبر لا مرحباً ولا أهلاً، أمَا إن كنت لمن أبغض من يمشي على ظهري إلي فمذ وليتك اليوم وصرت إليّ فسترى صنيعي بك، فيلتئم عليه حتى يلتقي وتختلف أضلاعه**»، قال: وقال رسول الله ﷺ بأصابع يديه: «**هكذا**»، وشبكها، «**ثم يقيض له تسعون تنيناً أو تسعة وتسعون تنيناً لو أنّ واحداً منها نفخ في الأرض ما أنبتت شيئاً ما بقيت الدنيا، فتنهشه وتخدشه، حتى يبعث إلى الحساب**»، قال: وقال رسول الله ﷺ: «**إنّما القبر روضة من رياض الجنّة أو حفرة من حفر النار**».

وروى الأئمة أنّ موسى عليه الصلاة والسلام لمّا قال لشعيب عليه الصلاة والسلام: ﴿أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القصص: 28] الآية، أمره لما جن الليل أن يدخل بيتاً عيّنه له ويأخذ منه عصاً من العصي التي فيه، فدخل موسى البيت وأخذ العصا التي أخرجها آدم معه من الجنّة، وكانت من آس الجنّة، فتوارثها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حتى صارت إلى شعيب عليه السلام، فأمره أن يلقيها في البيت ويدخل، ويأخذ عصاً أخرى، فدخل وأخرجها كذلك سبع مرّات، فعلم شعيب أنّ لموسى شأناً، فلمّا أصبح قال له: سق الأغنام إلى مفرق الطريق، ثم خذ عن يمينك، وليس بها عشب كثير، ولا تأخذ عن يسارك، فإنّها وإن كان بها عشب كثير، ففيها تنّين كبير يقتل المواشي، فساق موسى الأغنام إلى مفرق الطريق، فأخذت نحو اليسار، ولم يقدر على ردّها، فسرحها في الكلإ، ثم

(١) هاذم اللذات: الموت.

نام، فخرج التنين فحاربته العصا حتى قتلته، فلمّا انتبه موسى رأى العصا مخضوبة بالدم والتنين مقتولاً، فعاد إلى شعيب فأخبره الخبر، فسرّ بذلك، وقال: كل ما ولدت هذه المواشي ذا لونين في هذه السنة، فهو لك فقدّر الله تعالى أن ولدت كلّها في تلك السنة ذا لونين، فعلم شعيب أنّ لموسى عند الله مكانة، فأقام عنده ثمانياً وعشرين سنة، إلى أن تمّت له أربعون سنة، ثم خرج عنه بأهله.

وأمّا حكمه:، فعلى ما قال القزويني أكله حرام لكونه من جنس الحيّات، وعلى أنّه سمك يؤذي بنابه، فالظاهر التحريم أيضاً كالتمساح.

الخواص: زعموا أنّ أكل لحمه يورث الشجاعة، ودمه إذا طلي به على الذكر وجامع امرأته حصل لها لذّة عظيمة.

التعبير: التنين في المنام ملك، فإن كان له رأسان أو ثلاثة، فهو أشد لشرّه، والمريض إذا رأى تنيناً دلّ على موته، ومن الرؤيا المعبّرة أنّ امرأة رأت في منامها كأنّها وضعت تنيناً، فولدت ولداً زمناً، وذلك لأنّ التنين يجر نفسه إذا مشى، وكذلك الزمن يجر نفسه.

التورم: القطقاط، قال ابن بختيشوع: هو على شكل الحمامة، ويقال له طير التمساح، قال: وفي جناحه شوكتان، هما سلاحه، إذا أطبق عليه التمساح فمه نخسه فيفتح فاه، فيخرج كما تقدّم، قال: ومن خواصه إذا أخذتا، يعني الشوكتين أو إحداهما وصيرتا في موضع قد بال فيه إنسان مرض ذلك الإنسان، ولم يزل مريضاً حتى تنزع الشوكة من ذلك المكان الذي بال فيه، وإذا علق قلبه على من به وجع المعدة أبرأه الله تعالى.

التولب: الجحش، قالوا أطوع من تولب، قال سيبويه: هو مصروف، لأنّه فوعل، ويقال للأتان أم تولب، وسيأتي حكمه في باب الحاء الهملة إن شاء الله تعالى.

التيس: الذكر من المعز والوعول، والجمع تيوس وأتياس، قال الهذلي:

من فوقه أنسر سود وعربة
وتحته أعنز كلف وأتياس

والتياس الذي يمسكه، ويقال في فلان تيسية، وناس يقولون تيوسية، قال الجوهري: ولا أعرف صحتها، ويقال للذكر من الظباء أيضاً تيس، ويقال نب التيس ينب نبيباً، إذا صاح وهاج، وقد مثل النبيّ ﷺ بذلك فيما روى مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: أتي رسول الله ﷺ برجل قصير أشعث ذي عضلات عليه إزار قد زنى، فردّه مرّتين، ثم أمر به،

فرجم، فقال رسول الله ﷺ: «**كلّما نفرنا غازين في سبيل الله تخلّف أحدكم ينب نبيب التيس يمنح إحداهن الكثبة**[1]، **إن الله لا يمكنني من أحد منهم إلاّ جعلته نكالاً أو نكلته**»، وفي «**كامل ابن عدي**» في ترجمة إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة من حديث عائشة رضي الله عنها أنّ النبيّ ﷺ بعث إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بقطيع من غنم يقسمها بين أصحابه، فبقي منها تيس، فضحى به، وفيه في ترجمة أبي صالح كاتب الليث بن سعد، واسمه عبد الله بن صالح عن عقبة بن عامر أنّ رسول الله ﷺ قال: «**ألا أخبركم بالتيس المستعار؟ هو المحلل**»، ثم قال: «**لعن الله المحلّل والمحلَّلَ له**»، والحديث المذكور رواه الدارقطني وابن ماجه عن كاتب الليث بن سعد عن مشرح بن هاعان المصري عن عقبة بن عامر بإسناد حسن، وكذلك رواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد، فيل إنّما لعنه النبيّ ﷺ مع حصول التحليل لأنّ التماس ذلك هتك للمروءة، والملتمس ذلك هو المحلَّل له، وإعارة التيس للوطء لغرض الغير أيضاً رذيلة، ولذلك شبّهه بالتيس المستعار، وإنّما يكون كالتيس المستعار إذا سبق التماس من المطلق، والعرب تعيّر بإعارة التيس، قال الشاعر:

وشر منيحة تيس معار

وفي آخر «**شفاء الصدور**» لابن سبع المبتي عن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كنت مع أبي بعدما كف بصره وهو بمكّة، فمررنا على قوم من أهل الشام في صفة زمزم، فسبّوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال لسعيد بن جبير وهو يقوده: ردّني إليهم، فردّه، فقال: أيّكم الساب لله ولرسوله؟ فقالوا: سبحان الله ما فينا أحد سبّ الله ورسوله، فقال: أيّكم الساب لعلي؟ قالوا: أمّا هذا، فقد كان، فقال ابن عباس: إنّي أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سبّ عليّاً فقد سبّني، ومن سبّني فقد سبّ الله، ومن سبّ الله كبّه الله تعالى على منخريه في النّار»، ثم ولّى عنهم، فقال: يا بني ما رأيتهم صنعوا؟ فقلت: يا أبت:

نظروا إليك بأعين محمرة نظر التيوس إلى شفار الجازر

فقال: زدني يا بني، فقلت:

شزر العيون منكّسي أذقانهم نظر الذليل إلى العزيز القاهر

ا هـ. وفي «**تهذيب الكمال**» في ترجمة عبد العزيز بن منيب القرشي، وكان طويل اللحية أنّ علي بن حجر السعدي نظر إليه وقال:

ليس بطول اللحى تستوِ جبون القضا
إن كان هذا كذا فالتيس عدل رضا

قال: ومكتوب في التوراة: لا يغرنّك طول اللحى، فإنّ التيس له لحية، وسيأتي في

(١) الكُثْبَة: القليل من اللبن أو الطعام.

المعز بيان حكمه، وفي «**تاريخ الإسلام**» للعلاّمة الذهبي أنّ في سنة تسع وتسعين ومائتين وردت هدايا مصر على المقتدر، فيها خمسمائة ألف دينار وتيس له ضرع يحلب لبناً، وضلع إنسان عرض شبر في طول أربعة عشر شبراً، وفي كتاب «**الترغيب والترهيب**» في باب ذم الحاسد من حديث نافع عن ابن عمر ﷺ أنّ النبيّ ﷺ قال: «**يأتي على أمّتي زمان يحسد فيه الفقهاء بعضهم بعضاً ويغار بعضهم على بعض كتغاير التيوس بعضها على بعض**» وفي «**الحلية**» عن مالك بن دينار أنّه قال: «تجوز شهادة القراء في كل شيء إلاّ شهادة بعضهم على بعض فإنّهم أشدّ تحاسداً من التيوس في الزرب»، اهـ. قال الجوهري: الزرب والزريبة حظيرة الغنم من خشب. وفي «**مروج الذهب**» للمسعودي، و«**شرح السيرة**» للحافظ قطب الدين وغيرهما أنّ أمّ الحجاج بن يوسف وهي القارعة بنت همام، كانت تحت الحارث بن كلدة الثقفي حكيم العرب، فدخل عليها ليلة في السحر، فوجدها تتخلّل فطلّقها فسألته عن سبب ذلك، فقال: دخلت عليك في السحر، فوجدتك تتخللين، فإن كنت بادرت الغداء فأنت شرهة، وإن كنت بت والطعام بين أسنانك، فأنت قذرة، فقالت: كل ذلك لم يكن، لكنّي تخلّلت من شظايا السواك، فتزوّجها بعده يوسف بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي، فأولدها الحجّاج، وكان الحجّاج مشوّهاً لا دبر له، فثقب دبره وأبى أن يقبل ثدي أمّه وغيرها، فأعياهم أمره، فيقال: إنّ الشيطان تصوّر لهم في صورة الحارث بن كلدة، فقال: ما خبركم؟ فقالوا: بُنَيٌّ ولد ليوسف من الفارعة وقد أبى أن يقبل ثدي أمّه، فقال: اذبحوا له تيساً أسود وألعقوه دمه، ثم اذبحوا له أسود سالخاً أولغوه من دمه، واطلوا به وجهه ثلاثة أيّام، فإنّه يقبل ثدي أمّه في اليوم الرابع، ففعلوا به كذلك، فقبل الثدي، وكان لا يصبر عن سفك الدماء، وكان يخبر عن نفسه أنّ أكبر لذاته سفك الدماء، وارتكب أموراً لا يقدر عليها غيره.

وفي «**تاريخ ابن خلكان**» أنّ عبد الملك بن مروان كتب إلى الحجّاج كتاباً يتهدّده في آخره بهذه الأبيات:

إذا أنت لم تترك أموراً كرهتها ... وتطلب رضاي بالذي أنا طالبه
وتخش الذي يخشاه مثلك هارباً ... إليَّ فها قد ضيّع الدر حالبه
فإن ترمني غفلة قرشية ... فيا ربّما قد غص بالماء شاربه
وإن ترمني وثبة أموية ... فهذا وهذا كلّه أنا صاحبه
فلا تأمَنَنّي والحوادث جمّة ... فإنّك تجزى بالذي أنت كاسبه

فأجابه الحجّاج، وقال في آخر جوابه: وأمّا أتاني من أمريك فألينهما غرة وأصعبهما محنة، وقد عبأت للغرة الجلد، وللمحنة الصبر، فلمّا قرأ عبد الملك كتابه قال: خاف أبو محمد صولتي ولن أعود إلى ما يكره. وكان الحجّاج كثيراً ما يسأل القراء، فدخل عليه يوماً رجل، فقال له الحجّاج: ما قبل قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ﴾ [الزمر: 9]، فقال له الآخر: قوله

تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الزمر: 8]، فما سأل أحداً بعدها، وقال الحجّاج لرجل من أصحاب عبد الرّحمن بن الأشعث: والله إنّي لأبغضك، فقال الرجل: أدخل الله أشدّنا بغضاً لصاحبه الجنّة، وكان أوّل ما ظهر من كفاءة الحجّاج أنّه كان في شرطة روح بن زنباع وزير عبد الملك بن مروان، وكان عسكر عبد الملك لا يرحل برحيله ولا ينزل بنزوله، فشكا عبد الملك ذلك لروح بن زنباع، فقال له: يا أمير المؤمنين، في شرطتي رجل يقال له الحجّاج بن يوسف لو ولاّه أمير المؤمنين أمر العسكر لأرحل الناس برحيل أمير المؤمنين، وأنزلهم بنزوله، فولاّه عبد الملك أمر العسكر، فأرحل الناس برحيل عبد الملك، وأنزلهم بنزوله، فرحل يوماً عبد الملك ورحل الناس وتأخر أصحاب روح بن زنباع عن الرحيل، فمر عليهم الحجّاج وهم يأكلون، فقال لهم: ما بالكم لم ترحلوا مع العسكر؟ فقالوا له: انزل وتغدَّ ودع عنك هذا الكلام يا بن اللخناء، فقال: هيهات، ذهب ما هناك، ثم أمر بهم فضربت أعناقهم، وبخيل روح فعرقبت وبالفساطيط فأحرقت فبلغ ذلك روحاً فدخل على عبد الملك، وقال: يا أمير المؤمنين انظر ماذا جرى عليَّ اليوم من الحجّاج، فقال: وما ذاك؟ قال: قتل غلماني، وعرقب خيلي، وأحرق فساطيطي، فأمر بإحضار الحجّاج، فلمّا حضر، قال له عبد الملك: ويلك، ماذا فعلت اليوم مع سيّدك روح بن زنباع؟ فقال له: يا أمير المؤمنين إنّ يدي يدك وسوطي سوطك، وما على أمير المؤمنين أن يخلف لروح عوض الغلام غلامين والفرس فرسين والفسطاط فسطاطين، ولا يكسرني في العسكر، فقال له: افعل، فتم للحجّاج ما يريد، وقوي من ذلك اليوم أمره، وعظم شرّه، وكان هذا أوّل ما عرف من كفاءته.

وللحجّاج أخبار كثيرة، وخطب بليغة، قال المبرد في «الكامل»: حدّثني التوزي بإسناده عن عبد الملك بن عمير الليثي قال: بينما أنا في المسجد الجامع بالكوفة، وأهل الكوفة يومئذٍ ذوو حالة حسنة، يخرج الرجل منهم في العشرة والعشرين من مواليه إذ قيل: قدم الحجّاج أميراً على العراق، فنظرت فإذا به قد دخل المسجد معتمّاً بعمامة، قد غطّى بها أكثر وجهه، متقلّداً سيفاً متنكباً قوساً يؤم المنبر، فمال الناس نحوه فصعد المنبر، فمكث ساعة لا يتكلّم، فقال الناس بعضهم لبعض: قبّح الله بني أميّة حيث تستعمل مثل هذا على العراق، فقال عمير بن ضابىء البرجمي: ألا أحصبه لكم؟ فقيل: أمهل حتى ننظر، فلمّا رأى الحجّاج أعين الناس ترمقه حسر اللثام عن وجهه، ونهض قائماً، ثم حمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبيّ ﷺ ثم قال:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

ثم قال: يا أهل الكوفة إنّي لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها، وإنّي لصاحبها وكأنّي أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى

هذا أوان الشر فاشتدّي زيم قد لفّها الليل بسواق حطم

ليس براعي إبل ولا غنم ولا بجزّار على ظهر وضم

ثم قال:

قد لفّها الليل بعصلبي أروع خراج من الدوي
مهاجر ليس بأعرابي معاود للطعن بالخطي

ثم قال أيضاً:

قد شمّرت عن ساقها فشدّوا وجدّت الحرب بكم فجدوا
والقوس فيها وتر عرد مثل ذراع البكر أو أشد

إنّي والله يا أهل العراق ما يقعقع لي بالشنان ولا يغمز جانبي كتغماز التنين، ولقد فررت عن ذكاء وفتشت عن تجربة وإنّ أمير المؤمنين نثل كنانته، فعجم عيدانها عوداً عوداً، فوجدني أمرها عوداً وأصلبها مكسراً وأبعدها مرمى، فرماكم بي، لأنّكم طالما أوضعتم في الفتنة واضطجعتم في مراقد الضلال، والله لأحزمنكم حزم السلمة ولأضربنكم ضرب غرابيب الإبل فإنّكم لكأهل ﴿قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: 112]، وإنّي والله ما أقول إلاّ وفيت، ولا أهمّ إلاّ أمضيت، ولا أحلف إلاّ بريت، وإنّ أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطياتكم، وأن أوجهكم لمحاربة عدوّكم مع المهلب بن أبي صفرة، وإنّي أقسم بالله لا أجد رجلاً تخلّف بعد أخذ عطائه ثلاثة أيّام إلاّ ضربت عنقه، يا غلام اقرأ كتاب أمير المؤمنين، فقرأ: بسم الله الرّحمن الرّحيم، من عبد الله عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين، إلى من بالكوفة من المسلمين، سلام عليكم. فلم يقل أحد شيئاً، فقال الحجّاج: اكفف يا غلام، ثم أقبل على الناس، فقال: أيسلّم عليكم أمير المؤمنين فلم تردّوا سلامه، هذا أدب ابن سميّة، أما والله لأؤدّبنكم غير هذا الأدب أو لتستقيمنّ، اقرأ يا غلام كتاب أمير المؤمنين، فلمّا بلغ إلى قوله: سلام عليكم، لم يبق في المسجد أحد إلا قال: وعلى أمير المؤمنين السلام، ثم نزل فوضع للناس أعطياتهم فجعلوا يأخذون حتى أتاه شيخ يرعش كبراً، فقال: أيّها الأمير إنّي من الضعف على ما ترى، ولي ابن هو أقوى منّي على الأسفار، أفتقبله منّي بدلاً، فقال له الحجّاج: نفعل أيّها الشيخ، فلمّا ولّى قال له قائل: أتدري من هذا أيّها الأمير؟ قال: لا، قال: هذا عمير بن ضابىء البرجمي، الذي يقول أبوه:

همت ولم أفعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله

ودخل هذا الشيخ على عثمان رضي الله عنه يوم الدار وهو مقتول فوطىء بطنه وكسر ضلعين من أضلاعه، فقال: ردّوه، فلمّا رُدّ قال له الحجّاج: أيّها الشيخ، هلاّ بعثت إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفّان بديلاً يوم الدار، إنّ في قتلك إصلاحاً للمسلمين، يا حرسي اضرب عنقه.

«**تفسير ما في خطبة الحجّاج من الكلام**»: قوله: أنا ابن جلا، إنّما أراد المنكشف الأمر،

ولم يصرف جلا لأنّه أراد الفعل، فحكى والفعل إذا كان فيه فاعله مضمراً أو مظهراً لم يكن إلاّ حكاية، كقولك: قرأت ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: 1]، لأنّك حكيت، وكذلك الابتداء والخبر، تقول: قرأت ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: 2]، قال الشاعر:

والله ما زيد بنام صاحبه

وهذه الكلمة لسحيم بن وثيل الرياحي، وإنّما قالها الحجّاج متمثّلاً، وقوله: طلاع الثنايا هي جمع ثنية، والثنية الطريق في الجبل، والطريق في الرمل يقال لها الجلد، إنّما أراد أنّه جلد يطلع الثنايا في ارتفاعها وصعوبتها، كما قال دريد بن الصمّة يرثي أخاه عبد الله:

كميش الإزار خارج نصف ساقه بعيد من السوآت طلاع أنجد

والنجد ما ارتفع من الأرض، وقوله: إنّي لأرى رؤوساً قد أينعت، يريد أدركت، يقال أينعت الثمرة إيناعاً وينعت ينعاً وينعاً ويقرأ: ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ﴾ [الأنعام: 99] ويَنَعِهِ وكلاهما جائز، قال أبو عبيدة، وهذا الشعر مختلف فيه، فبعضهم ينسبه إلى الأحوص، وبعضهم إلى يزيد بن معاوية وهو:

ولها بالماطرون إذا أكل النمل الذي جمعا
حرقة حتى إذا ارتفعت سكنت من جلق نبعا
في قباب عند دسكرة حولها الزيتون قد ينعا

وقوله: هذا أوان الشرّ فاشتدّي زيم، يعني فرساً أو ناقة، والشعر للحطيم القيسي، وقوله: قد لفّها الليل بسواق حطم: الحطم الذي لا يبقى من الخبز شيئاً، يقال رجل حطم إذا كان يأتي على الزاد لشدّة أكله، ويقال للنار التي لا تبقي على شيء: حطمة، وقوله على ظهر وضم: الوضم كل ما قطع عليه اللحم، قال الشاعر:

وفتيان صدق حسان الوجو ه لا يجدون لشيء ألم
مِنَ الِ المغيرة لا يشهدو ن عند المجازر لحم الوضم

وقوله: قد لفّها الليل بعصلبي أي شديد، أروع أي ذكي، وقوله: خراج من الدوي، يقول خراج عن كل غماء وشدّة، ويقال للصحراء دوية، وهي التي تنسب للدو والدو صحراء ملساء لا علم بها ولا أمارة، قال الحطيئة:

وأنّى اهتدت والدو بيني وبينها وما خلت ساري الدو بالليل يهتدي

والداوية: الفلاة المتّسعة التي يسمع لها دوي بالليل، وإنّما ذلك الدوي من إخفاف الإبل تنفسح أصواتها فيها، وجهلة الأعراب تقول إنّ ذلك عزيف الجن. وقوله: والقوس فيها وتر عردّ أي شديد، ويقال: عرند. وقوله: إنّي والله ما يقعقع لي بالشنان: واحدها شن، وهي الجلد اليابس، فإذا قعقع به نفرت الإبل منه، فضرب ذلك مثلاً لنفسه. قال النابغة الذبياني:

كأنّك من جمال بني أُقَيْشٍ يقعقع بين رجليه بِشَنِّ

وقوله: ولقد فررت عن ذكاء يعني عن تمام سن، والذكاء على ضربين، أحدهما تمام السن، والآخرة حدّة القلب، فما جاء في تمام السن قول قيس بن زهير العبسي:

جري المذكيات غلاب

وقول زهير:

يفضله إذا اجتهد عليه تمام السن منه والذكاء

وقوله: فعجم عيدانها عوداً عوداً، أي مضغها لينظر أيّها أصلب، يقال: عجمت العود إذا مضغته وعضضته، والمصدر العجم، يقال: عجمته عجماً، ويقال لنوى كل شيء عجم بفتح الجيم، ومن سكّن فقد أخطأ، قال الأعشى:

وجذعانُها كلقيط العجم

وقوله لما أوضعتم في الفتنة: الإيضاع ضرب من السير.. وله أخبار كثيرة تركناها كراهية التطويل، قال ابن خلكان: ولمّا حضرته الوفاة أحضر منجّماً وقال: هل ترى في علمك أنّ ملكاً يموت؟ قال: نعم، ولست هو، قال: وكيف ذلك، قال: لأنّ الملك الذي يموت اسمه كليب، فقال الحجّاج: أنا هو والله، بذلك الاسم سمّتني أمّي، فأوصى عندك ذلك، وكان ينشد في مرضه:

يا رب قد حلف الأعداء واجتهدوا أيمانهم إنّني من ساكني النار
أيحلفون على عمياء ويحهم ما ظنهم بعظيم العفو غفار

وتوفّي الحجّاج سنة خمس وتسعين في خلافة الوليد بواسط، ودفن بها وعفا قبره، وأجري عليه الماء، ولمّا مات لم يُعلم بموته، حتى خرجت جارية من قصره وهي تقول:

اليوم يرحمنا من كان يغبطنا واليوم نَتْبَع من كانوا لنا تبعا

فعُلم بموته، وقال الحافظ الذهبي وابن خلكان وغيرهما: أحصى من قتله الحجّاج صبراً سوى من قتل في حروبه، فبلغ مائة ألف وعشرين ألفاً، وكذا رواه الترمذي في «**جامعه**»، ومات في حبسه خمسون ألف رجل، وثلاثون ألف امرأة، منهن ستّة عشر ألفاً مجرّدات، وكان يحبس الرجال والنساء في موضع واحد وعرضت سجونه بعده، فوجد فيها ثلاثة وثلاثون ألفاً، لم يجب على أحد منهم لا قطع ولا صلب. وقال الحافظ ابن عساكر أنّ سليمان بن عبد الملك أخرج من كان في سجن الحجّاج من المظلومين، ويقال إنّه أخرج في يوم واحد ثمانين ألفاً، ويقال إنّه أخرج من سجونه ثلاثمائة ألف. وقال ابن خلكان: ولم يكن لحبسه سقف يستر النّاس من الشمس في الصيف، ولا من المطر في الشتاء، بل كان حوشاً مبنياً بالرخام. وكان له غير ذلك من أنواع العذاب، وقيل إنّه سأل كاتبه يوماً فقال: كم عدة من قتلنا في التهمة، فقال: ثمانون ألفاً، وكان مدّة ولايته في العراق عشرين سنة، ومات وله ثلاث وخمسون سنة.

روي أنّه ركب يوم جمعة فسمع ضجّة، فقال: ما هذا؟ فقيل: المحبوسون يضجّون ويشكون مما هم فيه من الجوع والعذاب، فالتفت إلى ناحيتهم وقال: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: 108]، فما صلّى جمعة بعدها، ورأيت على حاشية «**تاريخ ابن خلكان**» بخط بعض المشايخ أنّ بعض العلماء كفّره بهذا الكلام، وغيره ممّا وقع منه.

وفي «**الكامل**» للمبرد: وممّا كفّر به الفقهاء الحجّاج أنّه رأى الناس يطوفون حول حجرة رسول الله ﷺ، فقال: إنّما تطوفون بأعواد ورمة، قلت: وإنّما كفّروه بهذا، لأنّ في هذا الكلام تكذيباً لرسول الله ﷺ، نعوذ بالله من اعتقاد ذلك، فإنّه صحّ عنه ﷺ، أنّه قال: «**الله عزّ وجل حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**»، أخرجه أبو داود، وذكر أبو جعفر الداودي هذا الحديث بزيادة ذكر الشهداء والعلماء والمؤذّنين، وهي زيادة غريبة، قال المهيلي: الداودي من أهل الفقه والعلم، لكن روي عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنّه رأى الحجّاج في المنام بعد موته، وهو جيفة منتنة، فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: قتلني بكل قتيل قتلته قتلة واحدة إلاّ سعيد بن جبير، فإنّه قتلني به سبعين قتلة، فقال له: ما أنت منتظر؟ فقال: ما ينتظره الموحّدون، فهذا مما ينفي عنه الكفر، ويثبت أنّه مات على التوحيد، وعند الله علم حاله وهو أعلم بحقيقة أمره.

تنبيه: فإن قيل ما الحكمة في أنّ الله تعالى قتل الحجّاج بكل قتيل قتلة واحدة إلاّ سعيد بن جبير رحمه الله تعالى وهو قد قتل عبد الله بن الزبير ﷺ وهو صحابي، وسعيد بن جبير تابعي، والصحابي أفضل من التابعي، فالجواب أنّ الحكمة في ذلك أنّ الحجّاج لمّا قتل عبد الله بن الزبير ﷺ كان له نظراء في العلم كثيرون كابن عمر وأنس بن مالك وغيرهما من الصحابة، ولمّا قتل سعيد بن جبير لم يكن له نظير في العلم في وقته، وذكر غير واحد من المصنّفين أنّ الحسن البصري رحمه الله لمّا بلغه قتل سعيد بن جبير قال: والله لقد مات سعيد بن جبير يوم مات، وأهل الأرض من مشرقها إلى مغربها محتاجون لعلمه، فمن هذا المعنى ضوعف العذاب على الحجّاج بقتله، والله أعلم. وسيأتي حديث قتل سعيد بن جبير في باب اللام في اللبوة، وقتل عبد الله بن الزبير تقدّم في باب الهمزة في الإوز.

الأمثال: قالوا: أغلم من تيس بني حمان بكسر الحاء المهملة، وذلك أنّ بني حمان تزعم أن تيسهم سفد سبعين عنزاً بعدما فريت أوداجه ففخروا بذلك، والله أعلم، ويقال للتيس قفط وسفد، وفي «**الأذكياء**» لابن الجوزي أنّ مزينة أسرت أبا حسان الأنصاري، وقالوا: لا نأخذ فداءه إلاّ تيساً، فغضب قومه وقالوا: لا نفعل هذا، فأرسل إليهم أعطوهم ما طلبوا، فلمّا جاؤوا بالتيس قال: أعطوهم أخاهم وخذوا أخاكم، فسمّوا مزينة التيس، وصار لهم لقباً وعيباً.

الخواص: جميع بدنه منتن كالإبط، ولحيته تشدّ على صاحب حمى الربع وعلى من به صداع فيزولان، وطحاله يقطعه صاحب الطحال بيده ويعلّقه في بيت هو فيه، فإذا جفّ

الطحال زال ألم المطحول، ورطوبة كبده حال شقّها تقطر في الأذن الوجيعة يزول وجعها، وكعبه إذا سحق وشرب هيّج الباه، وبوله يغلى حتى يغلظ ويخلط بمثله سكراً ويطلى به الجرب في الحمام فإنّه يذهب، وبعره إذا وُضع تحت رأس صبي يبكي كثيراً يزول عنه، وسيأتي له منافع أخرى في خواص المعز، والله أعلم.